تعليقات فضيلة الشيخ

صالح بن فوزان الفوزان

على كتاب

إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان

للإمام ابن القيم رحمه الله

«الشريط العاشر»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد،

قال المؤلف رحمه الله تعالى.

المتن: الوجه الثاني: أن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق لعبادته.

الشيخ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الله سبحانه وتعالى خلق الخلق لعبادته، كما قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات: ٥٦ – ٥٨]

الله لم يخلقهم من أجل أن يتقوى بهم أو أن يحتاج إليهم؛ إنما خلقهم لعبادته.

والعبادة: هي الخضوع والذل لله عز وجل مع الحب، ذل مع حب، لأن من ذل لأحد ولم يحبه لم يكن عابدا له، مثل من يذل للجبابرة والسلاطين فهو لا يحبهم؛ كذلك من أحب شخصا ولم يذل له لم يكن عابدا له، مثل ما يحب الإنسان زوجته وأولاده ووالديه، هذا ليس عبادة هذه محبة طبيعية لأنها محبة بدون ذل، أما إذا اجتمع المحبة مع الذل فهذه هي العبادة وهي لا تكون إلا لله سبحانه وتعالى، هذا تعريفها المجمل.

أما المفصل: فالعبادة إسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

أنواعها كثيرة منها: الذبح والنذر والاستعانة والاستغاثة ومنها التوكل والرغبة والرهبة.

منها عبادات قلبية: وهي المحبة والتوكل والإنابة والاستعانة والاستغاثة.

ومنها عبادات عملية فعلية: مثل الصلاة والصيام والحج والجهاد.

ومنها عبادات قولية: كذكر الله والتهليل والتسبيح والتكبير.

عبادات قولية من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، أعمال الجوارح وأعمال القلوب، هذه هي العبادة ولا تكون إلا لله سبحانه وتعالى لأنه هو المستحق لها، أما غيره فلا يستحق العبادة، فالذين يعبدون غير الله يعبدونهم بغير حق لأنهم ما يستحقون العبادة، بشر، أشجار، أحجار، قبور،

أضرحة، ما تستحق العبادة، وقد يكون الإنسان يعبد شيئا هو أضعف منه وأقل منه، يعني اللي يخضع للميت، الحي الذي يخضع ويستغيث بميت هذا يعتبر عاقلا أم ماذا؟! يستغيث بميت، وعاجز، ولا يسمع ولو سمع ما أستجاب ولا قدر، هذا خلاف العقول والفطر، الذي يستحق العبادة على الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى.

المتن: أن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق لعبادته، الجامعة لمعرفته والإنابة إليه ومحبته، والإخلاص له، فبذكره تطمئن قلوبهم، وتسكن نفوسهم، وبرؤيته في الآخرة تقر عيونهم .

الشيخ: نعم بذكره تطمئن قلوبهم ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [الرعد: ٢٨]، القلوب تطمئن بذكر الله، تفرح، تُسر، تزول عنها وساوس الشيطان، تزول عنها الوحشة والخوف، فذكر الله يطمئن القلوب ويشرح الصدور وينور القلب ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ المؤمن إذا سمع ذكر الله إنشرح صدره واطمئن قلبه وأنس من وحشته.

المتن: فبذكره تطمئن قلوبهم، وتسكن نفوسهم، وبرؤيته في الآخرة تقر عيونهم.

الشيخ: في الدنيا يحبونه ويذكرونه ويعبدونه لكنهم لا يرونه في الدنيا لأنهم لا يستطيعون رؤيته، يحترقون، لو تجلى لهم لاحترقوا، لايستطيعون رؤيته في الدنيا، لكن في الآخرة الله جل وعلا يقويهم يعطيهم قوة على رؤيته لأجل أن يكرمهم بذلك، لمَّا آمنوا به في الدنيا، أمنوا بالغيب الذي لم يروه الله جازاهم في الآخرة بأنه يتجلى لهم ليرونه عيانا بأبصارهم، تقر أعينهم به ويفرحون بذلك، ويكون ذلك ألذ عندهم من الجنة وما فيها، رؤية الله جل وعلا تقر عيونهم بالله، في الجنةيتجلى لهم، ويرونه عيانا بأبصارهم كما يرون القمر ليلة البدر، كما يرون الشمس صحوا ليس دونها سحاب، كما في الحديث لما آمنوا به في الدنيا ولم يروه جازاهم الله جل وعلا بأن تجلى لهم حتى يروه في الآخرة.

وأما الكفار لما كفروا به في الدنيا احتجب عنهم سبحانه فلا يرونه قال جل وعلا: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥﴾[المطففين: ١٥] إهانة لهم، وجزاء لهم، المؤمن إذا عبد الله اشتاق لرؤيته ومحبته لكنه لا يقدر أن يراه في الدنيا، فالله جل وعلا لما تجلى للجبل الأصم اندك الجبل وصار ترابا، فكيف بجسم الإنسان لو تجلى الله له؟!

ولذلك موسى عليه السلام لما جاء لميقات ربه وكلمه ربه اشتاق إلى ربه، ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ يعني لن تراني في الدنيا ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾ جبل صار ترابا ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗا﴾ وغشي عليه من شدة الهول، ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣﴾ [الأعراف: ١٤٣]

المتن: وبرؤيته فى الآخرة تقر عيونهم، ويتم نعيمهم، فلا يعطيهم فى الآخرة شيئا هو أحب إليهم، ولا أقر لعيونهم، ولا أنعم لقلوبهم: من النظر إليه، وسماع كلامه منه بلا واسطة.

الشيخ: نعم يكلمهم؛ بل يكلم كل فرد منهم يافلان تذكر كذا وكذا، من أجل أن يفرحوا بذلك يسمعون كلامه ويرونه سبحانه عيانا لتقر أعينهم بذلك، تنعم نفوسهم وهذا ألذ عليهم من كل نعيم في الجنة.

المتن: ولم يعطهم فى الدنيا شيئا خيرا لهم ولا أحب إليهم، ولا أقر لعيونهم من الإيمان به.

الشيخ: أما في الدنيا فيؤمنون به ولا يرونه، يؤمنون به إعتمادا على ما جاءت به الرسل ونزلت به الكتب فيؤمنون بذلك.

المتن: ولم يعطهم فى الدنيا شيئا خيرا لهم ولا أحب إليهم، ولا أقر لعيونهم من الإيمان به ومحبته والشوق إلى لقائه، والأنس بقربه، والتنعم بذكره.

الشيخ: في الدنيا يتنعمون بالعبادة والطاعة، ويتلذذون بها، وفي الآخرة يتنعمون برؤية الله سبحانه وتعالى في الجنات.

المتن: وقد جمع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بين هذين الأمرين فى الدعاء الذى رواه النسائى والإمام أحمد، وابن حبان فى صحيحه وغيرهم، من حديث عمار ابن ياسر: أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يدعو به «اللهمَّ بعلمِك الغيبَ وقدرتِك على الخلقِ أحيني ما علمتَ الحياةَ خيرًا لي وتوفَّني إذا كانتِ الوفاةُ خيرًا لي، اللهمَّ وأسألُكَ خشيتَك في الغيبِ والشهادةِ وأسألُكَ كلمةَ الحقِّ في الغضبِ والرضَى، وأسألُكَ القصدَ في الفقرِ والغنَى، وأسألُك نعيمًا لا ينفد وأسألُك قرَّةَ عينٍ لا تنقطعُ ، وأسألُك الرضَى بعد القضاءِ وأسألُك بردَ العيشِ بعد الموتِ وأسألُك لذةَ النظرِ إلى وجهكَ ،

والشوقَ إلى لقائِك في غيرِ ضرَّاءَ مضرَّة ولا فتنةً مضلَّة، اللهمَّ زينَّا بزينةِ الإيمانِ واجعلنا هداةً مهتدينَ»

الشيخ: الشاهد قوله «النظرِ إلى وجهكَ ، والشوقَ إلى لقائِك في غيرِ ضرَّاءَ مضرَّة ولا فتنةً مضلَّة» يدعو ربه أن يمن عليه بالنظر إليه في الدار الآخرة.

المتن: فجمع فى هذا الدعاء العظيم القدر بين أطيب شيء فى الدنيا، وهو الشوق إلى لقائه سبحانه، وأطيب شيء فى الآخرة، وهو النظر إلى وجهه سبحانه.

الشيخ: نعم، لهذا قال جل وعلا: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ قالوا﴿لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ يعني رؤية الله﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: ١١٠].

المتن: ولهذا لما كان كمال ذلك وتمامه موقوفا على عدم ما يضر فى الدنيا، ويفتن فى الدين قال: «في غيرِ ضرَّاءَ مضرَّة ولا فتنةً مضلَّة»، ولما كان كمال العبد فى أن يكون عالما بالحق متبعا له معلماً لغيره، مرشدا له قال:«وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مهتدين»

الشيخ: نعم مهتدين في أنفسنا وهداة لغيرنا، فالمسلم لا يقتصر على نفسه بل يرجو الخير لغيره ويحب الخير لغيره، ولذلك يدعو إلى الله، يأمر بالمعروف، ينهى عن المنكر، ينشر الخير، ويعلم العلم.

المتن: ولما كان الرضى النافع المحصل للمقصود هو الرضى بعد وقوع القضاء لا قبله، فإن ذلك عزم على الرضى.

الشيخ: القضاء تؤمن به هذا من أركان الإيمان، تؤمن به هذا قبل وقوعة، فإذا وقع ترضى به ولا تجزع ولا تسخط، تصبر.

المتن: ولما كان الرضى النافع المحصل للمقصود هو الرضى بعد وقوع القضاء لا قبله، فإن ذلك عزم على الرضى فإذا وقع القضاء انفسخ ذلك العزم، سأل الرضى بعده.

فإن المقدور يكتنفه أمران:

* الاستخارة قبل وقوعه

* والرضى بعد وقوعه.

فمن سعادة العبد أن يجمع بينهما، كما فى المسند وغيره عنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم «إن من سعادة ابن آدم استخارة الله ورضاه بما قضى الله، وإن من شقاوة ابن آدم ترك استخارة الله، وسخطه بما قضى الله تعالى» ولما كانت خشية الله عز وجل رأس كل خير فى المشهد والمغيب، سأله خشيته فى الغيب والشهادة.

الشيخ: في الغيب والشهادة، في الغيب إذا غاب الناس يخشى الله ويتقيه، ولا يقول ما عندي أحد؛ بل يخشى الله؛ فإن الله يراه ويطلع عليه، وفي الشهادة إذا كان مع الناس ويراه الناس.

المتن: ولما كان أكثر الناس إنما يتكلم بالحق فى رضاه، فإذا غضب أخرجه غضبه إلى الباطل، وقد يدخله أيضاً رضاه فى الباطل، سأل الله أن يوفقه لكلمة الحق فى الغضب والرضى، ولهذا قال بعض السلف: لا تكن ممن إذا رضى أدخله رضاه فى الباطل، وإذا غضب أخرجه غضبه من الحق.

الشيخ: نعم كلمة الحق في السخط والرضا، الإنسان يغضب لأنه بشر لكن يمسك نفسه إذا غضب، يمسكها عن أن يتكلم بكلام قبيح أو سباب أو شتم، أو أشد من ذلك كلام الكفر والشرك، يمسك لسانه ويمسك نفسه لأن الغضب يحمله، والنبي ﷺ يقول: «ليسَ الشَّديدُ بالصُّرَعةِ ، إنَّما الشَّديدُ الَّذي يملِكُ نفسَهُ عندَ الغضبِ» الغضب خطير جدا، الإنسان يلزم الحق ولو غضب، يلزم الحق والعدل.

المتن: ولما كان الفقر والغنى محنتين وبليتين، يبتلى الله بهما عبده، ففى الغنى يبسط يده، وفى الفقر يقبضها، سأل الله عز وجل القصد فى الحالين، وهو التوسط الذى ليس معه إسراف ولا تقتير.

الشيخ: «القصدَ في الفقرِ والغنَى» والقصد هو التوسط بين التبذير والإسراف وبين البخل والشح، فإذا أغناه الله فلا يسرف، ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ [الأعراف: ٣١] لا يسرف ولا يبذر المال، يقول هذا مالي وأنا حر؟! لا، هذا عارية عندك وامتحان، فأحسن فيه فلا تضعه إلا في مواضعه، وفي حاجتك، وإذا افتقر لا يجزع ولا يسرق، أو يغصب الناس أموالهم، أو يتعدى عليهم لأنه فقير، أو يجزع يقول أنا أكون فقير وفلان غني؟ يصبر على ذلك، ويطلب الرزق، ما هو يرضى بالقضاء ويترك طلب الرزق؟! لا، يطلب الرزق؛ ولكن لا يجزع من الفقر.

المتن: ولما كان النعيم نوعين: نوعا للبدن، ونوعا للقلب، وهو قرة العين، وكماله بدوامه واستمراره، جمع بينهما فى قوله «أسألك نعيما لا ينفد، وقرة عين لا تنقطع»

الشيخ: نعم، لأن النعيم ينفد ويزول، ما تدوم النعمة واللذه والسرور، ما يدوم هذا، فالنبي صلى الله عليه وسلم طلب من الله أن يرزقه نعيما لا ينفد ولا يزول، وسأله أيضا قرة عين لا تنقطع،

الإنسان قد يكون قرير العين بماله، بأولاده، بأصحابه، ثم يأتي عليه وقت تزول عنه هذه الأشياء، النبي ﷺ طلب دوام هذه الأشياء، «نعيما لا ينفد، وقرة عين لا تنقطع»، وذلك في الآخرة، أما في الدنيا فهذه الأشياء تنقطع، وقد يكون الإنسان في نعمة وفي قرة عين وهو ما عنده شيء، يعني يكون في غنى في قلبه، والنبي ﷺ يقول: «ليس الغنَى عن كثرةِ العرَضِ ، ولكنَّ الغنَى غنَى النَّفسِ» غني القلب هذا مسرور ولو ما عنده شيء، ويتعبَّر بالإشياء ولو كانت يسيرة تكفيه، ما هو الغنى بكثرة المال، الغنى غنى القلب، قد يكون الإنسان عنده أموال الدنيا وهو فقير القلب وقد يكون ما عنده شيء ولكنه غني القلب، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء.

المتن: ولما كانت الزينة زينتين: زينة البدن، وزينة القلب، وكانت زينة القلب أعظمها قدرا وأجلها خطرا، وإذا حصلت زينة البدن على أكمل الوجوه فى العقبى، سأل ربه الزينة الباطنة فقال: «زيّنا بِزِينَةِ الإيمَانِ»

الشيخ: «زيّنا بِزِينَةِ الإيمَانِ» الإيمان هو الزينة الظاهرة والباطنة، من رُزق الإيمان رزق الزينة، ليست الزينة هي مظاهر الدنيا، إنما الزينة بتقوى الله والإيمان به، هذا والله جل وعلا يقول ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾ [الأعراف: ٢٦] لباس التقوى خير من لباس البدن، يابني ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾ [الأعراف: ٣١] هذه زينة؛ لكنها زينة بدن، والزينة الصحيحة الحقيقية زينة الإيمان، زينا بزينة الإيمان، فالمؤمن ولو ما عنده مال وما عنده ثياب جميلة عنده زينة الإيمان في قلبه في نفسه في تصرفاته.

تقلَّبَ عُرياناً وإنْ كانَ كاسِيَا إذَا المرءُ لَمْ يلبسْ ثياباً من التُّقَى

﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾، ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ﴾ يعني زينة ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾

المتن: ولما كان العيش فى هذه الدار لا يبرد لأحد كائنا من كان، بل هو محشو بالغصص والنكد، ومحفوف بالآلام الباطنة والظاهرة، سأل برد العيش بعد الموت.

الشيخ: نعم، برد العيش بعد الموت، العيش عيش الآخرة، اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة، كما قال النبي ﷺ، العيش عيش الآخرة، أما عيش الدنيا فإنه يزول ويفنى.

المتن: والمقصود: أنه جمع فى هذا الدعاء بين أطيب ما فى الدنيا، وأطيب ما فى الآخرة. فإن حاجة العباد إلى ربهم فى عبادتهم إياه وتألههم له، كحاجتهم إليه فى خلقه لهم، ورزقه إياهم، ومعافاة أبدانهم، وستر عوراتهم، وأمن روعاتهم، بل حاجتهم إلى تألهه ومحبته وعبوديته أعظم.

الشيخ: نعم لا غنى له عن ربه طرفة عين في كل أموره وفي كل شؤونه، ولذلك يكون متعلقا بالله، راجيا لله، خائفا من الله دائما وأبدا، يكون مع الله دائما وأبدا.

المتن: بل حاجتهم إلى تألهه ومحبته وعبوديته أعظم فإن ذلك هو الغاية المقصودة لهم، ولا صلاح لهم ولا نعيم ولا فلاح ولا لذة ولا سعادة بدون ذلك بحال ولهذا كانت "لا إله إلا الله" أحسن الحسنات.

الشيخ: ولهذا، يعني لما سبق من هذه المعاني العظيمة المذكورة من هذا الحديث الذي شرحه المؤلف، كانت كلمة لا إله إلا الله أحسن الحسنات ، لأن كلمة لا إله إلا الله هي كلمة التوحيد وكلمة الإخلاص وهي مفتاح الجنة كما في الحديث، وهي العروة الوثقى، فكلمة لا إله إلا الله كلمة عظيمة، هي كلمة خفيفة على اللسان ومختصرة ولكنها ثقيلة في الميزان وعظيمة تجمع بين النفي والإثبات، نفي الألوهية عما سوى الله عز وجل وإثباتها لله وحده، نفي وإثبات.

وهي مثل قوله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]

﴿يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ هذا هو معنى نفي الإلهية عما سوى الله، ﴿وَيُؤْمِن بِاللَّهِ﴾ هذا هو معنى إلا الله، ولهذا قال ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا﴾ وهي لا إله إلا الله.

المتن: ولهذا كانت "لا إله إلا الله" أحسن الحسنات، وكان توحيد الإلهية رأس الأمر.

الشيخ: نعم التوحيد المقصود والذي جاءت به الرسل ونزلت به الكتب هو توحيد الألوهية، وهو إفراد الله بالعبادة، أما توحيد الربوبية وهو إفراد الله بأفعاله، كالخلق والرزق والإحياء والإماته وغير ذلك، فهذا أقر به المشركون ولم ينفعهم بدون توحيد الألوهية، لابد من توحيد الألوهية مع توحيد الربوبية، أما الاقتصار على توحيد الربوبية فهذا لا ينفع شيئا، أقر به المشركون وهم في الدرك الأسفل من النار، ولم ينفعهم، لما لم يكن معهم توحيد الألوهية.

المتن: وكان توحيد الإلهية رأس الأمر وأما توحيد الربوبية الذى أقر به المسلم والكافر، وقرره أهل الكلام فى كتبهم، فلا يكفى وحده.

الشيخ: أهل الكلام يعني علماء المنطق من أشاعرة ومعتزلة، وجميع الفرق، فرق المتكلمين فإنهم همهم إثبات الربوبية فقط، ولذلك عقائدهم كلها في إثبات الربوبية، مع أن الربوبية لم ينكرها أحد حتى أبو جهل وأبو لهب ما أنكروه؛ لكنهم جحدوا توحيد الألوهية، وكل رسول يقول لقومه اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، ولم يقل أقروا أنه الرب، مقرون هم أنه الرب؛ لكن يقولون لهم أعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾[الأنبياء: ٢٥]، ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[النحل: ٣٦]

﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ هذا معنى الإثبات، ﴿ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ هذا معنى النفي، هو معنى لا إله إلا الله تماما، كل الرسل جاءوا بهذا، فما في عقائد علماء الكلام إنما يركز على توحيد الربوبية، وهو تعب بلا فائدة، لا يذكرون توحيد الألوهية في عقائدهم أبدا، يقولون المقصود أن الإنسان مقر بالرب الخالق الرازق المحيي المميت،...إلخ، وهذا تعب بلا فائدة.

المتن: وأما توحيد الربوبية الذى أقر به المسلم والكافر، وقرره أهل الكلام فى كتبهم، فلا يكفى وحده.

الشيخ: هذه هي، قرره أهل الكلام في كتبهم، كل علماء الكلام يدورون على توحيد الربوبية، وهمهم إثبات توحيد الربوبية، توحيد الربوبية ثابت بالفطر ما أحد أنكره، فلا حاجة إلى حشو الأوراق بذكره وتعليم الناس توحيد الربوبية ما يكفي.

المتن: وأما توحيد الربوبية الذى أقر به المسلم والكافر، وقرره أهل الكلام فى كتبهم، فلا يكفى وحده.

الشيخ: حتى إبليس قال رب، إعترف لربه بالربوبية، ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي﴾ [الحجر: ٣٩]، أعترف بأن الله ربه وهو إبليس.

المتن: فلا يكفى وحده بل هو الحجة عليهم.

الشيخ: توحيد الربوبية هو حجة توحيد الألوهية، دليل على توحيد الألوهية، فهو يذكر للاستدلال به على وجوب إفراد الله بالعبادة ولا يقتصر عليه.

المتن: فلا يكفى وحده بل هو الحجة عليهم كما بين ذلك سبحانه فى كتابه فى عدة مواضع.

الشيخ: مثل قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ﴾

هذا توحيد ربوبية استدل به على وجوب عبادة الله، ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا﴾ يعني شركاء في العبادة ﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾[البقرة: ٢١ – ٢٢] أنه لا شريك له.

المتن: ولهذا كان حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا كما فى الحديث الصحيح الذى رواه معاذ بن جبل رضى الله عنه.

الشيخ: الله له حق على عباده والعباد لهم حق على الله، ولهذا قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل وكان رديفه على حمار، فقال: « يا معاذ، قال، لبيك يارسول الله، قال: يا معاذ، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: يامعاذ، ثلاث مرات، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: "أتدرى ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا » ، فبين حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، أن يعبدوه ما قال أن يقروا أنه الرب الخالق الرازق، قال: يعبدوه ولا يشركوا به شيئا.

المتن: كما فى الحديث الصحيح الذى رواه معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «أتدرى ما حق الله على عباده؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حقه على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا. أتدرى ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حقهم عليه أن لا يعذبهم بالنار»

الشيخ: إي نعم، هذا حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، فإذا عبدوه ولم يشركوا به شيئا فحقهم عليه ألا يعذبهم بالنار، التوحيد ينجي من النار، قد ينجي من النار نهائيا ولا يدخلها،

وقد يدخلها بذنوبه ثم يخرج منها بتوحيده ويدخل الجنة، فالموحد مآله إلى الجنة ولو كان عنده ذنوب وكبائر دون الشرك، أما الكافر فهذا خالد مخلد في النار، والمشرك خالد مخلد في النار، لا طمع له في الجنة ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾[المائدة: ٧٢] فالتوحيد أمره عظيم وهو توحيد الألوهية.

المتن: ولهذا يحب سبحانه عباده المؤمنين الموحدين ويفرح بتوبتهم، كما أن فى ذلك أعظم لذة العبد وسعادته ونعيمه.

الشيخ: ولذلك الله يحب عباده الموحدين الذين لا يشركون به شيئا، يحبهم ويحبونه، الله يوصف بأنه يحب فهذه من صفات الأفعال لله، أنه يحب المؤمنين، يحب المتقين، يحب المحسنين، هذا من أوصاف الله، والمؤمنون يحبون الله عز وجل حبا شديدا، تعلقت قلوبهم به.

المتن: ولهذا يحب سبحانه عباده المؤمنين الموحدين ويفرح بتوبتهم.

الشيخ: يفرح بتوبتهم إذا أذنبوا، قال ﷺ: «لله أشدُّ فرحًا بتوبةِ عبدِهِ حين يتوبُ إليه ، من أحدِكم كان على راحلتِه بأرضِ فلاةٍ . فانفلتت منه . وعليها طعامُه وشرابُه . فأيس منها . فأتى شجرةً . فاضطجع في ظلِّها . قد أيس من راحلتِه . فبينا هو كذلك إذا هو بها ، قائمةٌ عنده . فأخذ بخطامِها . ثم قال من شدةِ الفرح اللهم أنت عبدي وانا ربك، أخطأ من شدة الفرح» الله أشد فرحا من هذا، بتوبة عبده لأنه يريد أن يرحم عباده ما يريد أن يعذبهم، يريد أن يرحمهم ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ [النساء: ١٤٧]

المتن: كما أن فى ذلك أعظم لذة العبد وسعادته ونعيمه فليس فى الكائنات شيء غير الله سبحانه يسكن القلب إليه، ويطمئن به ويأنس به، ويتنعم بالتوجه إليه.

الشيخ: إي نعم، هذا الشيء معروف أنه لا أشد في قلوب المؤمنين ولا أحب في قلوب المؤمنين إلا الله سبحانه وتعالى، لأنهم تعلقت قلوبهم بربهم، لما آمنوا به وعبدوه وأحبوه تعلقت قلوبهم به سبحانه وتعالى، الله يحبهم ويحبونه.

المتن: ومن عبد غيره سبحانه وحصل له به نوع منفعة ولذة، فمضرته بذلك أضعاف أضعاف منفعته.

الشيخ: من عبد غير الله فهذا هالك وخاسر ولو وجد شيئا من الفائدة في عبادة غير الله من باب الاستدراج له، الذين يعبدون القبور ويتعلقون بالأموات قد يجدون شيئا من قضاء حوائجهم ولكن هذا من باب الاستدراج لهم، وما يؤول إليه أمرهم من الشقاء والعذاب أشد وأنكى.

المتن: ومن عبد غيره سبحانه وحصل له به نوع منفعة ولذة، فمضرته بذلك أضعاف أضعاف منفعته،

وهو بمنزلة أكل الطعام المسموم اللذيذ.

الشيخ: نعم طعام لذيذ لكنه مسموم، قد يأكله الإنسان ويتلذذ به ثم يقضي عليه ويقتله بالسم الذي فيه، فهذا مثل الذي يعبد غير الله قد يجد منفعه فهو مثل الذي يأكل طعام مسموم، لابد أن يقتله.

المتن: وكما أن السماوات والأرض لو كان فيهما إله غيره سبحانه لفسدتا، كما قال تعالى:

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ آلِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] فكذلك القلب.

الشيخ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ﴾: أي في السموات والأرض ﴿ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾، لأن الله هو الذي أقامهما، وهو الذي أحكمها، وهو الذي يحفظهما، لو أن الله جل وعلا وكلهما إلى غيره لفسدتا، ما أحد يستطيع أن يحفظ السماء والأرض، ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ [فاطر: ٤١] إن هذه نافية، أي: ما أمسكهما أحد من بعده، يعني غير الله سبحانه وتعالى، ﴿وَلَئِن زَالَتَآ﴾ من الذي يمسكهم؟ لا أحد، ﴿وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا﴾يعني ما أمسكهما أحد ﴿مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ يعني: غيره، فالله جل وعلا هو الذي أصلح هذا الكون ودبره، وقدره وأجراه بمقادير، و بموازين وبإتقان، هو الله جل وعلا ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾

المتن: وكما أن السماوات والأرض لو كان فيهما إله غيره سبحانه لفسدتا، كما قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ آلِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] فكذلك القلب إذا كان فيه معبود غير الله تعالى فسد فسادا لا يرجى صلاحه إلا بأن يخرج ذلك المعبود من قلبه.

الشيخ: كذلك الإنسان، إذا كانت السموات والأرض ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ آلِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ فكذلك القلب لو كان فيه إله غير الله لفسد، وإذا لم يكن فيه إله إلا الله صلح.

فكذلك القلب إذا كان فيه معبود غير الله تعالى فسد فسادا لا يرجى صلاحه إلا بأن يخرج ذلك المعبود من قلبه.

الشيخ: المعبود غير الله.

المتن: ويكون الله تعالى وحده إلهه ومعبوده الذى يحبه ويرجوه، ويخافه ويتوكل عليه وينيب إليه.

الوجه الثالث: أن فقر العبد إلى أن يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا ليس له نظير فيقاس به.

الشيخ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾مصلحة العبادة أين ترجع، إلى الله؟ الله غني عنها، أين ترجع إذًا؟ ترجع إلى الإنسان، هو الذي يحتاج إليها، الله أمره بمصلحته، أمره أن يعبده لمصلحته هو، لا لمصلحة الله، وإلا فالله غني عن الناس ﴿إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾﴾[إبراهيم: ٨] ﴿إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾[الزمر: ٧] ملكه تام، ربوبيته تامه، لا يحتاج إلى أحد؛ إنما العباد هم المحتاجون إليه، الله أمرهم بعبادته لمصلحتهم هم، لا لمصلحته هو سبحانه وتعالى، فليتنبه الإنسان لذلك، ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾﴾[الذاريات: ٥٦ – ٥٧] ﴿إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾﴾ ملكه تام سبحانه وتعالى.

المتن: أن فقر العبد إلى أن يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا ليس له نظير فيقاس به، لكن يشبه من بعض الوجوه حاجة الجسد إلى الغذاء والشراب والنفس.

الشيخ: أنت بحاجة إلى العبادة أشد من حاجتك إلى الطعام والشراب، الطعام والشراب هذا للبدن، أما العبادة فهي للقلب، وحياة القلب أولى من حياة البدن.

المتن: ولكن يشبه من بعض الوجوه حاجة الجسد إلى الغذاء والشراب والنفس، وبينهما فروق كثيرة، فإن حقيقة العبد قلبه وروحه، ولا صلاح له إلا بإلهه الحق الذى لا إله إلا هو، فلا يطمئن

إلا بذكره، ولا يسكن إلا بمعرفته وحبه، وهو كادح إليه كدحا فملاقيه، ولا بد له من لقائه، ولا صلاح له إلا بتوحيد محبته.

الشيخ: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ۝٦﴾[الانشقاق: ٦] أين تذهب أنت؟ أنت تسير إلى الله، كلنا نسير إلى الله، كل الخلق يسيرون إلى الله المؤمنون والكفار، أين يذهبون؟ إلى الله سبحانه وتعالى، لابد من لقاء الله، ولا يجدون إلا ما قدموا من العمل الصالح في الآخرة، يحفظه الله لهم، وينميه ويضاعفه لهم أضعافا كثيرة.

المتن: ولا صلاح له إلا بتوحيد محبته وعبادته وخوفه ورجائه، ولو حصل له من اللذات والسرور بغيره ما حصل فلا يدوم له ذلك، بل ينتقل من نوع إلى نوع، ومن شخص إلى شخص ويتنعم بهذا فى حال، وبهذا فى حال، وكثيرا ما يكون ذلك الذى يتنعم به هو أعظم أسباب ألمه ومضرته.

الشيخ: المؤمن يتلذذ بعبادة الله، يتلذذ بقيام الليل، يتلذذ بأداء الفرائض وفعل النوافل، يتلذذ بصيام النهار، يفرح بذكر الله، والشقي يتنعم في الدنيا، ويأكل من الشهوات والمشارب والمآكل والملابس؛ لكن هذا يصير إلى النار وهذا يصير إلى الجنة، ولذة المؤمن لا تنقطع، ولذة أصحاب الشهوات تنقطع، وتعقبها حسرة وندامة، ولهذا يقول بعض الصالحين: لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف، ما نحن فيه من اللذة والسرور، بمحبة الله وطاعته، وانشراح صدورهم ولذة نفوسهم، الملوك ماذا يريدون؟ يريدون اللذة، لكن ما يعرفون أين هي، يحسبونها بالشهوات والمآكل والملابس والسلطة، ما يدرون أن اللذة إنما هي بطاعة الله سبحانه وتعالى.

ويقول الآخر: أهل الدنيا خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها، قيل وما أطيب ما فيها؟ قال: ذكر الله هو أطيب ما في الدنيا.

المتن: ولو حصل له من اللذات والسرور بغيره ما حصل فلا يدوم له ذلك، بل ينتقل من نوع إلى نوع، ومن شخص إلى شخص ويتنعم بهذا فى حال، وبهذا فى حال، وكثيرا ما يكون ذلك الذى يتنعم به هو أعظم أسباب ألمه ومضرته.

الشيخ: الإنسان قد يأكل الأكلة، وتصير سبب لموته لوفاته، تصير الأكلة التي تلذذ بها وفرح بها وشبع منها تصير سببا لموته وهلاكه، فهذه ملذات الدنيا، أما ملذات العمل الصالح والآخرة فهي لا تنقطع، ولا يترتب عليها مضرة؛ بل يترتب عليها مصالح ومنافع.

المتن: وأما إلهه الحق فلا بد له منه فى كل وقت وفى كل حال، وأينما كان فنفس الإيمان به ومحبته وعبادته وإجلاله وذكره هو غذاء الإنسان وقوته، وصلاحه وقوامه، كما عليه أهل الإيمان، ودلت

عليه السنة والقرآن، وشهدت به الفطرة والجنان، لا كما يقوله من قل نصيبه من التحقيق والعرفان، وبُخِس حظه من الإحسان: إن عبادته وذكره وشكره تكليف ومشقة، لمجرد الابتلاء والامتحان.

الشيخ: بعضهم يقول هذه عبادات هذه مشقة، وهي من أجل الإبتلاء والإمتحان، هل يصبرون عليها أو لا يصبرون، ما ينظر إلى العبادة إلا لما فيها من التعب فقط، ولا ينظر إلى ما فيها من اللذة، نعم هي فيها تعب؛ لكن فيها لذة أعظم من التعب، هو ينظر إلى التعب فقط، يسمون العبادات التكاليف الشرعية، ينظرون إلى ما فيها من المشقة، ولا ينظرون إلى ما فيها من اللذة والسرور والاطمئنان هذا ما ينظر إليه إلا المتقون المؤمنون.

المتن: لا كما يقوله من قل نصيبه من التحقيق والعرفان، وبُخِس حظه من الإحسان: إن عبادته وذكره وشكره تكليف ومشقة، لمجرد الابتلاء والامتحان أو لأجل مجرد التعويض بالثواب المنفصل كالمعاوضة بالأثمان، أو لمجرد رياضة النفس.

الشيخ: كل هذا باطل، فالعبادة ليست لمجرد التعب والمشقة والابتلاء والامتحان، بل هي لذة وسرور وانبساط، ولهذا يقول بعضهم: إن كان أهل الجنة في مثل ما نحن فيه إنهم لفي عيش طيب، الله جل وعلا قال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد: ٢٨].

المتن: أو لأجل مجرد التعويض بالثواب المنفصل كالمعاوضة بالأثمان، أو لمجرد رياضة النفس وتهذيبها.

الشيخ: بعضهم يقول المقصود من الصلاة الرياضة، رياضة البدن والمفاصل، ما ينظر إلى ما فيها من اللذة والعبادة، يقول رياضة، الصوم يقول هذا لأجل الصحة، صوموا تصحوا كما يروى في الحديث الضعيف، فهم ينظرون إلى هذه الأشياء، الصوم للصحة، الصلاة للرياضة، الزكاة لأجل تعويد النفس لمساعدة المحتاجين، إنسانية، هذه يسمونها إنسانية ما يسمونها عبادة.

المتن: أو لمجرد رياضة النفس وتهذيبها ليرتفع عن درجة البهيم من الحيوان، كما في مقالات لمن بُخِسَ حظه من معرفة الرحمن، وقل نصيبه من ذوق حقائق الإيمان، وفرح بما عنده من زبَدَ الأفكار وزُبالة الأذهان، بل عبادته ومعرفته وتوحيده وشكره قرة عين الإنسان، وأفضل لذة للروح والقلب والجنان، وأطيب نعيم ناله من كان أهلا لهذا الشان، والله المستعان، وعليه التكلان.

وليس المقصود بالعبادات والأوامر المشقة والكلفة بالقصد الأول وإن وقع ذلك ضمنا وتبعا فى بعضها.

الشيخ: نعم العبادة ليس المقصود منها المشقة والتعب والرياضة، لا، المقصود منها حياة القلب، ولذة القلب والروح، هذا هو المقصود منها، فمن لم يجد هذا فهو لم يفهم العبادة.

المتن: وليس المقصود بالعبادات والأوامر المشقة والكلفة بالقصد الأول وإن وقع ذلك ضمنا وتبعا فى بعضها، لأسباب اقتضته لابد منها، هى من لوازم هذه النشأة.

فأوامره سبحانه، وحقه الذى أوجبه على عباده، وشرائعه التى شرعها لهم هى قرة العيون ولذة القلوب، ونعيم الأرواح وسرورها، وبه شفاؤها وسعادتها وفلاحها، وكمالها فى معاشها ومعادها، بل لا سرور لها ولا فرح ولا لذة ولا نعيم فى الحقيقة إلا بذلك، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٧ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾ [يونس: ٥٧ – ٥٨]

الشيخ: فهي فرح، ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ بطاعة الله عز وجل وراحة نفوسهم وقلوبهم، هذا الذي يفرح به.

المتن: قال أبو سعيد الخدرى "فضل الله: القرآن، ورحمته: أن جعلكم من أهله" وقال هلال بن يساف "بالإسلام الذى هداكم إليه، وبالقرآن الذى علمكم إياه، هو خير مما تجمعون: من الذهب والفضة" وكذلك قال ابن عباس والحسن وقتادة "فضله: الإسلام، ورحمته: القرآن" وقالت طائفة من السلف "فضله: القرآن، ورحمته: الإسلام."

الشيخ: كلاهما متلازم.

المتن: والتحقيق: أن كلا منهما فيه الوصفان، الفضل والرحمة.

الشيخ: القرآن فيه الفضل وفيه الرحمة، والإسلام فيه الفضل وفيه الرحمة.

المتن: وهما الأمران اللذان امتن الله بهما على رسوله عليه الصلاة والسلام فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: ٥٢]

المتن: والله سبحانه إنما رفع من رفع بالكتاب والإيمان، ووضع من وضع بعدمها.

الشيخ: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي﴾ قبل النبوة ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ ، الرسول ﷺ يقول الله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾ [الضحى: ٧]

ما كان يدري عن هذه الأمور؛ ويقول: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ۝١١٣﴾ [النساء: ١١٣]